في السنة الأولى

يوم جَبَلة[١]، وهو من أعظم أيام العرب، وقصة الفيل[٢].

ذكر إرضاعه ﷺ:

أرضعته أمه ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أرضعته ثويبة جارية أبي لهب ـ وهو الأشهر ـ بلبن ابنها مَسْرُوح أياماً قبل قدوم حليمة مكة، وكانت قد أرضعتْ قبله حمزةَ بن عبد المطلب رضي الله عنه، ثم أرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي[٣].

وأعتق أبو لهب ثويبة، فكانت تدخل على النبي ﷺ بعد ما تزوج خديجة رضي الله عنها، فكان يكرمها وتكرمها خديجة[٤].وكلم يوماً خديجةَ رسولُ الله ﷺ فيها، فوهبت لها غنماً[٥].

وقيل: إنما أعتقها أبو لهب بعد ما هاجر رسول الله ﷺ، وسألته خديجة رضي الله عنها أن يَبيعها منها فأبى، وكان رسول الله ﷺ بعدما هاجر يبعث إليها بكُسْوَةٍ وصِلَةٍ، وتوفيت ثويبة في سنة سبع من الهجرة[٦].

وذكر أبو نعيم الأصبهاني في إسلامها قولين.

وقال عروة: كانت ثويبة مولاة أبي لهب فأعتقها، فأرضعت رسول الله ﷺ، فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله في منامه بِشَرِّ حِيْبَة، فقال له: ما لقيتَ أبا لهب؟ فقال:

---

(١) انظر «تاريخ الطبري»، و«المنتظم» ٢/ ٢٥٩، و«الكامل» ١/ ٥٨٣.

(٢) انظر «السيرة» ١/ ٤١، وقد سرد ابن الجوزي في الوفا ص٩٧ جملة أمهات الحوادث في سنيه ﷺ.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٨٧، و«المنتظم» ٢/ ٢٦٠.

(٤) انظر «المنتظم» ٢/ ٢٦٠.

(٥) كذا جاء في النسخ، والصواب أن التي كلم رسول الله ﷺ في شأنها، إنما هي حليمة، أتت إليه فشكت جدب بلادها وهلاك الماشية، فكلم رسول الله ﷺ خديجة، فأعطتها أربعين شاة وبعيراً. انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٩٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ١٠٨ـ١٠٩، وسيأتي الخبر عند المصنف قبل السنة السادسة من مولده ﷺ.

(٦) انظر «أنساب الأشراف» ١/ ١٠٩.

ما لقيت بعدكم روحاً غير أني سُقيت في هذه ـ وأشار إلى نقرة بين إبهامه وسبابته ـ قال: بعتقي ثويبة[١].

ذكر إرضاع حليمة إيَّاه ﷺ:

وهي: حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن سِجْنَة[٢] بن جابر بن رِزَام بن ناصرة بن [فُصَيَّة بن نصر بن] سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار، وزوجها: الحارث بن عبد العزى بن رِفاعة بن ملّان ابن ناصرة بن فُصَيَّة بن [نصر بن] سعد بن بكر بن هوازن. وكنيته: أبو ذؤيب، وكان له من الولد: عبد الله، وهو الذي أَرْضَعت حليمةُ رسولَ الله ﷺ بلِبانه. [وأنيسة وجُدامة بنت الحارث] ولقبها: الشَّيماء، وكانت تحضن رسول الله ﷺ مع أُمِّها، وهي التي سُبيت يوم حنين، وقالت: إني أخت نبيكم[٣].

قال ابن إسحاق: عن الجَهْم بن أبي الجَهْم قال: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب يقول عن حليمة ابنة الحارث السعدية أُمِّ رسول الله ﷺ التي أرضعته قالت: خرجت في نِسوة من سعد بن بكر بن هوازن نلتمس الرُّضعاءَ بمكة، فخرجت على أَتانٍ لي قمراء قد أَذَمَّت بالرَّكْب[٤]، وخرجنا في سنة شهباء لم يبق لنا شيء أنا وزوجي الحارث بن عبد العزى ومعنا شارفٌ لنا، والله لم تَبِضَّ علينا بقطرة من لبن، ومعي صبي لنا، والله ما ننام ليلنا من بكائه، وما في ثديي لبن يغنيه ولا في شارفنا من لبن يُغَذِّيه إلا أنا نرجو، فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة إلا عُرِض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، وإنما كنا نرجو الكرامة في رضاعة من نُرضع له من والد المولود، وكان ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٥١٠١). وهذا هو الصحيح أن إعتاقها كان عند ولادة النبي ﷺ، انظر «السيرة الشامية» ١/ ٤٥٨. وقوله: بشر حيبة، أي: سوء حال.

(٢) هكذا هي في (ك)، وفي (خ) غير منقوطة، وضبطها ابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٢٧٤: بالشين المعجمة، وضبطها صاحب «السيرة الشامية» ١/ ٤٦١ بالسين المهملة.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ٨٩ـ٩٠، و«أنساب الأشراف» ١/ ١٠٦. وما بين معقوفين زيادة منهما.

(٤) يروى: «أَدَمتُ» أي: أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها، وروي: «أَذَمَّتْ» أي: تأخرت بالركب والضمير في «أَذَمَّت» يرجع إلى الأتان. «إملاء المختصر» ١/ ١٣٤.

يتيماً، فقلنا: ما عسى أن تصنع أمه؟ حتى لم يبق من صواحباتي امرأة إلا أخذت رضيعاً، غيري، فكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئاً، وقد أخذوا صواحباتي، فقلت لزوجي الحارث: والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فأتيته فأخذته، ثم رجعت به إلى رَحْلي، فقال لي زوجي: قد أخذتيه؟ قلت: نعم، وذاك أني لم أجد غيره، قال: قد أصبت، عسى أن يجعل الله فيه خيراً، قالت: فوالله ما هو إلا أن وضعته في حِجْري، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من اللبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي، فقام زوجي إلى شارفنا من الليل فإذا هي تَسِحُّ علينا ما شئنا من اللبن، فشربنا حتى روينا، ومكثنا ليلتنا بخير شباعاً رِواء، فقال زوجي: يا حليمة، ما أراك إلا قد أصبت نَسَمَةً مُباركة، قد نام صبياننا وروينا.

قالت: ثم خرجنا فوالله لخَرجَتْ أتاني أمام الركب قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها أحد منهم، حتى إنهم ليقولون: ويحك يا بِنْتَ الحارث، كُفِّي علينا، أليست هذه أتانك التي خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله، فيقولون: إن لها لشأناً. حتى قَدِمتُ منازِلَنا من حاضرِ منازل بني سعد بن بكر، فقدمنا على أجدب أرض الله، فوالذي نفسُ حَليمةَ بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا، وأُسَرِّحُ راعي غُنَيْمَتي، وتروح غنمي حُفَّلاً بِطاناً، وتروح أغنامهم جياعاً هالكة ما لها من لبن، ونشرب ما شئنا من اللبن وما مِنَ الحاضرين أحد يحلب قطرة ولا يجدها، فيقولون لرُعاتِهم: ويلكُم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة. فيسرحون في الشِّعب الذي يسرح فيه، وتروح أغنامهم جياعاً، وتروح غنمي حُفَّلاً، قالت: وكان يشب في اليوم شباب الصبي في [الشهر ويشبُّ في الشهر شباب الصبي في] سنة، فبلغ سنتين وَهو غلام جَفْر، فقَدِمْنا به على أُمِّه ومكةُ وَبِيْئَة، فقلنا أو قال لها زوجي: دعي ابني فلنرجع به، فإنا نخشى عليه وَباء مكة. قالت: ونحن أضَنُّ شيء به لِما رأينا من بركتِه. فلم يزل بها حتى قالت: ارجعي به. قال: فمكث عندنا شهرين.

وقال ابن قتيبة: إنما أقام عندهم خمس سنوات[1].

(١) «المعارف» ص١٣٢.

فبينما هو يلعب يوماً مع الغِلمان خلف البيوت إذ جاء أخوه يشتد فقال لي ولأبيه: أدركا أخي القُرَشي، فقد جاءه رجلان فأضجعاه وشقَّا بطنه، قالت: فخرجنا نشتد نحوه، فانتهينا إليه وهو قائم ممتقع لونه، فاعتنقته واعتنقه أبوه وقال: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقَّا بطني، ووالله ما أدري ما صنعا. قالت حليمة: فاحتملناه فرجعنا به، قالت: يقول زوجي: يا حليمة، والله ما أرى الغلام إلا قد أصيب، فانطلقي فلنَرُدّه إلى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه. فرجعنا به إلى أمه، فقالت: ما ردَّكما به وقد كنتما حريصين عليه؟ فقلنا لها: قد كفلناه وأدَّينا ما علينا من الحق فيه، ثم تخوفنا عليه الأحداث فقلنا: يكون عند أمه. فقالت: والله ما ذاك بكما، فأخبراني خبره، فأخبرناها. فقالت: أتخوفتما عليه، والله إن لابني هذا لشأناً[1].

* * *

السنة الثالثة من مولده ﷺ

فيها ولد أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ودخلت السنة الرابعة وبعض الخامسة، وهو ﷺ عند حليمة السعدية رضي الله عنها.

* * *

السنة الخامسة من مولده ﷺ

وفيها شق بطنه.

قال شداد بن أوس: جاء رجل من بني عامر إلى النبي ﷺ فقال: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ فأخبرني عن بدء أمرك، فقال: «يا أَخا بني عامر، بَدْءُ أَمري دَعوةُ أخي إبراهيمَ، وبُشرى أخي عيسى، وإنِّي كنتُ مسترضعاً في بني سعدٍ، فبينا أنا ذاتَ يومٍ مُنْتَبِذٌ مع أتراب لي من الغِلمان في وادٍ بعيدٍ عن أهلي، إذا بثلاثة رهطٍ معهم طَسْتٌ من ذَهب قد

(١) «السيرة» ١/ ١٤٨-١٥٣، والنقل عن «المنتظم» ٢/ ٢٦١-٢٦٣.